مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الرابع والثلاثون/ رجب - رمضان ١٤٣١هـ . يوليو - سبتمبر ٢٠١٠م

٣٤

- الآثار الدينية والسياسية لغزوة الخندق . دراسة تاريخية تحليلية
- نسخ القرآن الكريم المخطوطة والموقوفة في مكتبة الشيخ عارف حكمت
- صرة الحرمين الشريفين
- مكتبة الحرم النبوي . لمحات من التاريخ والحاضر .

صرة الحرمين الشريفين

د. سهيل صابان

قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة الملك سعود

الصرة لغة: تعني كيس النقود. واصطلاحاً: تطلق على الأموال ومختلف الهدايا التي كانت الدولة العثمانية ترسلها إلى أهالي مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف والقبائل العربية القاطنة على طريق الحج[1].

وأقدم سجل للصرة في الأرشيف العثماني يعود لعام ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م. وبدءاً من هذا التاريخ، فإن الأرشيف العثماني يضم سجلات الصرة بشكل متسلسل حتى عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م. وفي الفترة الأولى كانت سجلات صرة مكة المكرمة والمدينة المنورة موحدة، ثم أصبحت سجلات كل منهما مستقلة، ومثل ذلك سجلات صرة القبائل. وفي السنوات الأخيرة عادت من جديد سجلات موحدة. ويضم أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول المعروف

---

(١) حول تعريف مفصل بالصرة ونماذج من صرة أهالي مكة المكرمة وصرة القبائل انظر: سهيل صابان/ مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية لعام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م.- **مجلة جامعة الملك لسعود**. مجلد ٢٠، الآداب (١). (محرم ١٤٢٩هـ/يناير ٢٠٠٨م). ص ١-٤٨؛ صرة أهالي مكة المكرمة.- **الدارة**. - ع٣، س٣٤ (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). ص١١٧-١٧٠

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالأرشيف العثماني ٤١٧٠ سجلاً من سجلات الصرة تحت الرقم التصنيفي العام للأرشيف ٩٦٣[١]. وقد تبين للباحث أن هناك سجلات أخرى في ذلك الأرشيف، صنفت في تصانيف أخرى غير التصنيف المذكور، مثل: تصنيف المالية (MAD)، مما يجعل عدد تلك السجلات أكثر من الرقم المذكور. يضاف إلى ذلك وجود سجلات الصرة أيضاً في أرشيف قصر طوب قابي الواقع في مدينة إستانبول كذلك. وهي كلها مواد أولية، يمكن استفادة عشرات الباحثين منها في العديد من مجالات البحث والتأليف، ولا سيما في إعداد الرسائل العلمية[٢].

(١) Basbakanlik Osmanli Arsivi Rehberi.-Istanbul: Osmanli Arsivleri Daire Baskanligi, ٢٠٠٠. p. ٢٤٤

(٢) سهيل صابان. المرجع السابق.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

صورة الصفحة الأولى من الوثيقة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

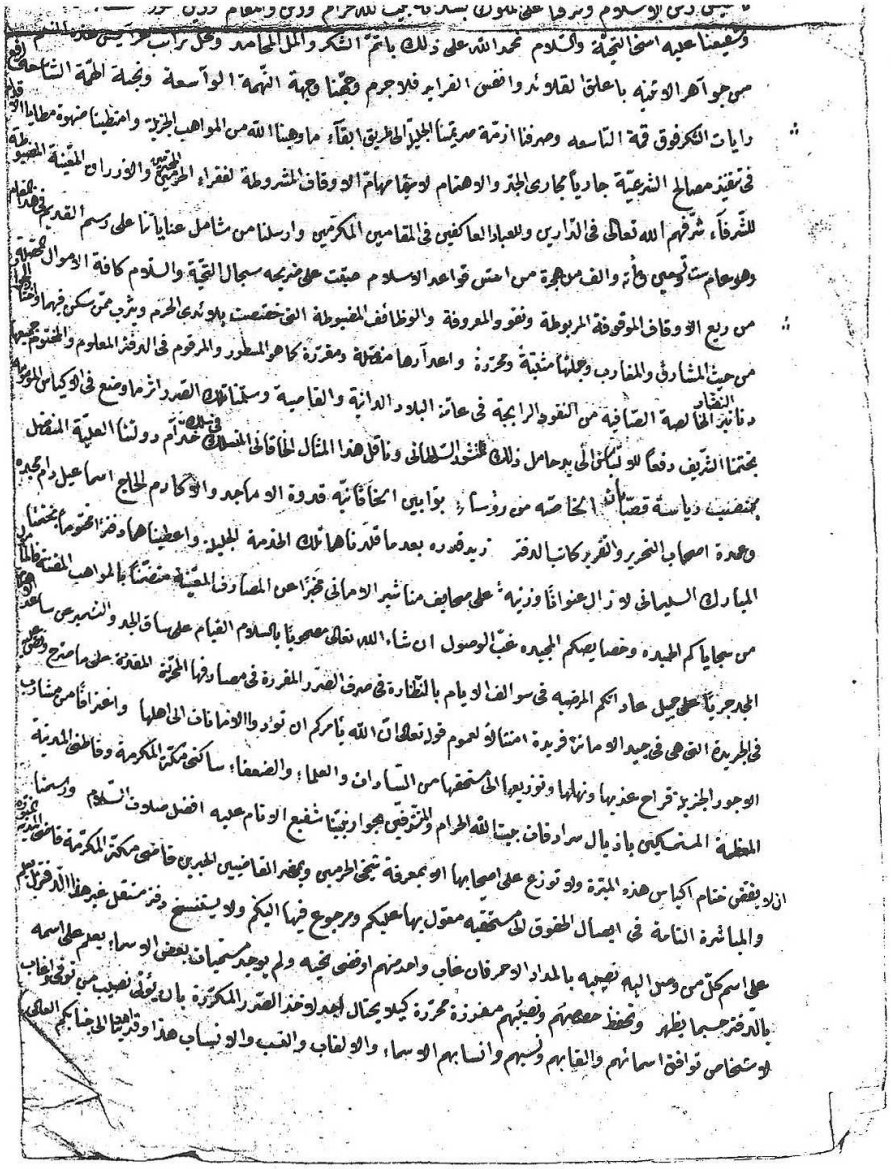

صورة الصفحة الثانية من الوثيقة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

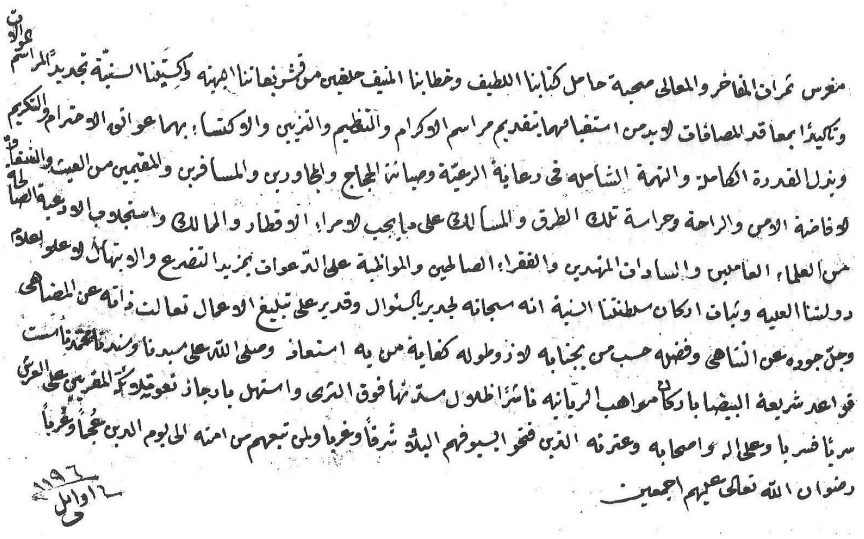

صورة الصفحة الأخيرة من الوثيقة

وثيقة صرة الحرمين الشريفين عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢م
عرض وتعليق

وصف الوثيقة

هذه الوثيقة محفوظة في الأرشيف العثماني تحت تصنيف Cevdet-Evkaf ١٥٧٦١ وتقع في صفحة ونصف من القطع الكبير. وأصلها خطاب مكتوب باللغة العربية أرسل إلى أمير مكة المكرمة الشريف سرور بن مساعد[1]. وتاريخه أوائل رجب عام ١١٩٦هـ (أواسط يونيو ١٧٨٢م).

(١) الشريف سرور بن مساعد بن سعيد الحسني (١١٦٧-١٢٠٢هـ): تولى إمارة مكة المكرمة عام ١١٨٦هـ/١٧٧٣م وكان عمره تسعة عشر عاماً. قام بالعديد من الخدمات. منها أنه أمن طرق الحج بعد أن قام بعدة حملات تأديبية على القبائل. كانت إمارته حسنة، وانتعش الناس في عهده. كانت مدة إمارته خمس عشرة سنة ونصف. أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني/إسماعيل حقي أوزون جارشلي؛ ترجمة خليل علي مراد.- بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ص ١٩١-١٩٢

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد اتسمت الوثيقة بخط النسخ الجميل، والعبارات الأدبية البليغة والسجع غير المتكلف، وقد وُشِّح الخطاب بسطرين عثمانيين موضحين لمضمون الخطاب، فحواهما: مسودة الخطاب العربي الذي يرسل إلى أمير مكة المكرمة الشريف سرور بن مساعد؛ بشأن الصرة السلطانية المرسلة إلى مكة المكرمة. وقد احتوى الخطاب على التوقيع المذيل الذي يدل على أن الصدر الأعظم قد رآه ووضع تصحيحه عليه.

بعض الملاحظات

١ – تبين من هذا الخطاب أن العثمانيين كانوا يستخدمون اللغة العربية في بعض مراسلاتهم إلى أشراف الحجاز وغيرهم من الأعيان.

٢ – اتضح منه أيضاً أن الأسلوب البلاغي لم يكن غائباً عن الباب العالي.

٣ – تبين من هذا الخطاب أيضاً اهتمام الدولة العثمانية بالحجاز، وتفانيها في إرسال مخصصاته من الصرة والأوقاف إليه في الوقت المحدد من كل سنة، ليس من باب التفضل والمنة؛ وإنما من باب الواجب الذي لابد من القيام به. كما تفيد بذلك العبارة الأولى التي توشح بها دفاتر الصرة في الأرشيف العثماني..

وفيما يلي نص الوثيقة

الحمد لله الذي جعل سرّة البطحاء صدف درة البيضا، وحلّى بها أجياد عرائس المصنوعات من الثرى إلى سدرة المنتهى، وصيّر أم القرى مَحْتِد نبيّه المجتبى وصفيه المرتضى، وأمر خليله إبراهيم أن يرفع قواعد البيت وأوحى إليه ما أوحى، وتوجهته الوفود متوشحين وشاح الهدى، ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتلبية وقصدوا نحو المنى، فطوبى لمن سعى بين المروة والصفا، وصلّى بمقام إبراهيم بخضوع القلب وانتهج نهج القربى والزلفى، وبيّض وجهه بتعظيم حجر الأسود متلألأً كسناء الذكا، والصلاة والسلام على من بعثه رحمة للورى، وصار زيارة قبره مرتقى مدارج السعادة في الدنيا

والعقبى، وعلى آله وصحبه الطيبين الذين طهّروا كعبة العليا من أدناس الأوثان ومهّدوا بنيان الشريعة المصطفى، ما حنّت القماري فوق منابر الأغصان بتسبيح الله وتقديسه في كل روضة غنّا

محل الطغراء[1]

أما بعد؛ فهذا خطابنا الشريف الخاقاني، وكتابنا المنيف السلطاني، النافذ حكمه بعناية الله المعين في أقطار الأرضين، مطاعاً لأساطين الملوك والسلاطين، لا زال ناشراً فوايح العدل والأمان، وما برح زاهراً بين حدايق البرّ والإحسان، ما سجعت الحمايم ورتعت الغزلان، أصدرنا منطوياً بفرايد التحيات الرايقة، ومحتوياً على قلائد التسليمات الفائقة، مظهراً عرف رياحين المحبة والاستئناس، وممهداً لمباني المودة المحفوظة عن الاندراس، إلى عالي جناب الأمير الأمجد المبجل الأجل الأوحد المقتفي آثار أسلافه الأشراف، من آبائه الغرّ صناديد آل عبد مناف، وأجداده الحميدي السبر الجميلي الأوصاف، فرع الشجرة الزكية النبوية، طراز العصابة العلوية المصطفوية، المنتمي إلى أشرف جرثومة علا عنصرها، والمنتسب إلى أنفس أرومة علا جوهرها، زبدة سلالة الزهراء البتول، عمدة آل بيت الرسول، المحفوف بصنوف عواطف الملك الواحد الماجد ابن الماجد، أمير مكة المكرمة سرور بن مساعد، لا زالت العناية الربانية له ملاحظة، والكلأة الصمدانية عليه حافظة. ننهي إلى نادي الشريف أن الله جل شأنه وعزّ برهانه اصطفانا من بين عباده خليفة الأنام، وأعطانا سيف الجهاد، وأمرنا تأسيس ركن الإسلام، وشرّفنا على الملوك بسدانة بيت الله الحرام والركن والمقام، وزين منشور سلطنتنا بخدمة روضة نبينا وشفيعنا عليه أسنى التحية

(١) باعتبار أن هذا الخطاب مسودة، فقد أشير فيه إلى المحل الذي يرسم فيه طغراء السلطان عبد الحميد الأول.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والسلام. نحمد الله على ذلك بأتم الشكر وأكمل المحامد، ونحلّي ترائب عرائس هذه النعم من جواهر الإثنية بأعلق القلائد وأنفس الفرائد. فلا جرم وجّهنا وجهة النهمة الواسعة ونخبة الهمة الشاسعة؛ لرفع رايات الشكر فوق قمة التاسعة، وصرفنا أزمة صريمتنا الجليلة إلى طريق إبقاء ما وهبنا الله من المواهب الجزيلة، وامتطينا صهوة مطايا الأقدام في تنفيذ [الـ]مصالح الشرعية جارياً مجارى الجد والاهتمام، لا سيما مهام الأوقاف المشروطة لفقراء الحرمين المحترمين، والأرزاق المعينة المضبوطة للشرفاء [الأشراف] شرفهم الله تعالى في الدارين، وللعباد العاكفين في المقامين المكرمين، وأرسلنا من شامل عناياتنا على [الـ]رسم القديم في هذا المقام، وهو عام ست وتسعين ومائة وألف من هجرة من أسس قواعد الإسلام، صبّت على ضريحه سجال التحية والسلام كافة الأموال المتحصلة من ريع الأوقاف الموقوفة المربوطة و[الـ]نقود المعروفة والوظائف المضبوطة التي خصصت **بلائذي الحرم ويثرب**، ممن سكن فيهما واختار الجوار من حيث المشارق والمغارب، وجملتها مثبتة ومحررة، وأعدادها مفصلة ومقررة، كما هو المسطور والمرقوم، في الدفتر المعلوم والمختوم، جميعها دنانير النضار الخالصة الصافية من النقود الرايجة في عامة البلاد الدانية والقاصية، وسلمنا تلك الصرر إثر ما وضعـ[ت] في الأكياس، الموسومة بختمنا الشريف دفعاً للالتباس إلى يد حامل ذلك المنشور السلطاني، وناقل هذا المثال الخاقاني المنسلك في سلك خدام دولتنا العلية، المنفصل [من] برياسة قصابان[1] الخاصة من رؤساء بوابين الخاقانية قدوة الأماجد والأكارم الحاج إسماعيل دام مجده، وعمدة

(١) قصابان، جمع قصاب، والقصاب هو الجزار. أي رئيس الجزارين في القصر السلطاني.

أصحاب التحرير والتقرير كاتب الدفتر[1] زيد قدره، بعدما قلّدناهما تلك الخدمة الجليلة، وأعطيناهما دفتراً مختوماً بختمنا المبارك السليماني لازال عنواناً وزينة على صحايف مناشير الأماني، مخبراً عن المصارف المعينة، متضمناً بالمواهب المقننة. فالمأمول من سجاياكم الحميدة وخصائصكم المجيدة غبّ الوصول إن شاء الله تعالى مصحوباً بالسلام، القيام على ساق الجد والتشمير عن ساعد الاهتمام المجد، جرياً على جميل عاداتكم المرضية في سوالف الأيام بالنظارة في صرف الصرر المقررة في مصارفها المحررة المقدرة على ما صرّح ونصّ عليه في الجريدة التي هي في جيد الأمانة فريدة، امتثالاً لعموم قوله تعالى "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها". واعترافاً من مشارب الأجور الجزيلة قراح عذبها ونهلها **وتوزيعها إلى مستحقها من السادات والعلماء والضعفاء ساكني مكة المكرمة وقاطني المدينة المعظمة**، المتمسكين بأذيال سرادقات بيت الله الحرام، والمتشرفين بجوار نبينا شفيع الأنام، عليه أفضل صلاة وسلام، ورسمنا أن لا يفضّ ختام أكياس هذه المبرّة ولا توزع على أصحابها إلا بمعرفة شيخي الحرمين وبمحضر القاضيين الحبرين: قاضي مكة المكرمة [و] قاضي المدينة المنورة، والمباشرة التامة في إيصال الحقوق إلى مستحقيه، معوّل بها عليكم ومرجوع فيها إليكم، ولا يستنسخ دفتر مستقل غير هذا الدفتر؛ بل يعلّم على اسم كل من وصل إليه نصيبه بالمداد الأحمر. فإن غاب واحد منهم أو قضى نحبه، ولم يوجد مسميات بعض الأسماء، يعلّم على اسمه بالدفتر حسبما يظهر، وتحفظ حصصهم ونصيبهم مفرزة محررة؛ كي لا يحتال أحد لأخذ

(١) من هذا القيد يتبين أن دفاتر الصرة كانت تعدّ وتدوّن في إستانبول، وتكتب مخصصات أصحابها تحت أسمائهم، فتصرف لهم في الحجاز، وتعلّم بالحبر الأحمر إذا استلم صاحبه المخصص.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الصرر المكررة؛ بأن يؤتى نصيب من توفي أو غاب لأشخاص توافق أسماؤهم وألقابهم ونسبهم وأنسابهم الأسماء والألقاب والنسب والأنساب. هذا وقد أهدينا إلى جنابكم العالي مغرس ثمرات المفاخر والمعالي صحبة حامل كتابنا اللطيف وخطابنا المنيف **خلعتين من تشريفاتنا البهية**[1] وأكيستنا السنية، تجديداً لمراسم الموالاة، وتأكيداً بمعاقد المصافاة. لابد من استقبالهما بتقديم مراسم الإكرام والتعظيم والتزيين والاكتساء بهما عوانق الاحترام والتكريم، وبذل القدرة الكاملة والنهمة الشاملة في رعاية الرعية وصيانة الحجاج والمجاورين والمسافرين والمقيمين من العبث والشقاوة؛ لإفاضة الأمن والراحة، وحراسة تلك الطرق والمسالك على ما يجب لأمراء الأقطار والممالك، واستجلاب الأدعية الصالحة من العلماء العاملين والسادات المهتدين والفقراء الصالحين، والمواظبة على الدعوات بمزيد التضرع والابتهال؛ لإعلاء إعلام دولتنا العلية وثبات أركان سلطنتنا السنية، إنه سبحانه لجدير بالسؤال وقدير على تبليغ الأعمال، تعالت ذاته عن المضاهي، وجل وجوده عن التناهي، وفضله حسب من بجنابه لاذ، وطوله كفاية من به استعاذ، وصلى الله على سيدنا وسندنا محمد، تأست قواعد [ال]شريعة البيضا[ء] بأركان [ال]مواهب الربانية ناشراً ظلال سترتها فوق الثرى، واستهل بأرجاز نعوت [ال] ملائكة المقربين على العرش سرباً فسرباً، وعلى آله وأصحابه وعترته الذين فتحوا بسيوفهم البلاد شرقاً وغرباً، ولمن تبعهم من أمته إلى يوم الدين، عُجماً وعُرباً، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

(١) التشريفات البهية: إدارة المراسم السلطانية.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة